راهن النقد وفلسفته عند الناقد حسين خمري
أ.د. الميلود عزوز. جامعة ابن خلدون تيارت

2. مقدمة:

تحولت الممارسة النقدية المعاصرة من قراءة شرح و تفسير إلى قراءة تأويل و إنتاج مستندة على مرجعية نقدية جديدة منطلقها الدراسة اللسانية التي قدمها فرديناند دي سوسير التي قفزت بالدراسات اللغوية قفزة نوعية أثرت بعدها على جميع ميادين الدراسات اللغوية و الأدبية و النقدية، و ميادين العلوم الإنسانية و الاجتماعية فمبدؤها القاعدي دراسة اللغة في ذاتها و لذاتها معزولة عن كل مرجع خارجي، مكنت الباحث اللساني بالاهتمام بالأداء الفردي للمتكلم الذي ينفرد خطابه بمميزات تخصه هو تختلف حتما عن المتكلم الآخر بغية تحقيق العملية التواصلية.

تمّ نقل مبادئ اللسانيات إلى الدراسات النقدية التي كان يغلب عليها الدراسات السياقية الخارجية (تاريخية ، اجتماعية، نفسية،...) التي ترى أن الأدب يؤدي وظيفة بالدرجة الأولى، إلا أن العلم الروسي جاكبسون ينفي هذه الوظيفية للأدب و يدعو إلى تبني مصطلح الأدبية و الاهتمام ب: كيف قال النص ؟ما قاله و ليس من قال النص و أين قائل النص، فتأسست المدرسة الشكلية التي أرست قواعد النقد المعاصر و النقد الجديد بجملة من المفاهيم النقدية التي كانت تتطور بتطور الدرس اللساني بعد دي سوسير، فانبثقت عن الشكلية المدرسة البنيوية ثم السيميائية فالتفكيكية و الأسلوبية ،و نظرية التلقي آخرها النقد الثقافي.

زحزحت هذه المقاربات النقدية المعاصرة مفهوم النقد وآلياته وغيرت مجراه ومساره، وألحت على ان يكون الناقد متسلحا بالأدوات والآليات الإجرائية التي بإمكانه يستطيع مقاربة النص الأدبي، فصار النقد إبداعا.

عرف الوطن العربي نقلته النقدية بعد ترجمة الإنتاج الغربي من لغته الأصلية (خاصة اللغة الفرنسية و الألمانية) إلى اللغة العربية مع ستينيات و سبعينيات القرن الماضي، كما كان لعودة الطلاب العرب إلى أوطانهم بعد تلقيهم و تحصيلهم العلمي في الجامعات الغربية الدور الكبير في انتشار الوعي النقدي المعاصر في أوساط المثقفين و النقاد العرب، و هذا ما عرفته الجزائر مع نهاية الثمانينات من القرن العشرين التي انطلق فيها ثلة من الباحثين الجامعيين في تدريس المناهج النقدية المعاصرة ضمن مقررات أقسام الأدب العربي والعلوم الاجتماعية و الإنسانية.

ولعل حسين خمري _ رحمه الله_ من بين أبرز هؤلاء الباحثين الذي سخّر حياته العلمية لنشر التفكير والوعي النقديين من أصوله الغربية كونه يتقن اللغة الفرنسية، جاءت ملفات حسين خمري واضحة وبلغة نقدية سلسة وبروح علمية دقيقة بعيدة عن التعصب الفكري سواء للغرب أو المحلي؛ بل حاول ربط المنجز النقدي الغربي بالمنجز النقدي العربي، كما أنه دعا إلى اعتماد روح السؤال ورفض الجاهز والتعامل مع الممارسة النقدية بروح الجدّ ة، والعمق الفكري بعيدا عن السطحية والابتذال.

تنوّعت مؤلفات حسين خمري ففيها ما تناول الشعر وقضاياه، ومنها ما تناول السرد بأنماطه المختلفة، ومنها أيضا ما اشتغلت على المفاهيم النقدية المعاصرة خاصة منها مفهوم النص.

الإشكالية: وصف لفلسفة حسين خمري النقدية، وتصوره للنقد الأدبي والدراسة النقدية من خلال مؤلفاته -قراءة وصفية تشريحية تحليلية لمقدمة مؤلفاته -وبعض فصولها المرتبطة بغايات الملتقى.

فما المراد بالنقد عند حسين خمري؟

ما هي خلفياته الفلسفية التي ارتكز عليها؟

ما نظرته للنقد العربي المعاصر؟

الأهداف: نهدف من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة على إشكاليات الملتقى حول راهن النقد في الجزائر والعربي على العموم من خلال مؤلفات الناقد حسين خمري.

2.نبذة عن حياة الناقد:

حسين خمري (1955 - 13 يناير 2021) هو أكاديمي وناقد ومترجم جزائري.

تخلّى خمري عن مُحاولاته الشعرية والقصصية الأولى، ليتفرّغ للنقد الذي قاده إلى جامعة السوربون؛ حيث التقى بصاحبة "ثورة اللغة الشعرية"؛ البلغارية جوليا كريستيفا التي أشرفت على أطروحته للدكتوراه في الأدب الحديث، عاد بعد ذلك إلى الجزائر، حيث عمل أستاذاً في جامعة قسنطينة، وترأس قسمها للترجمة، كما أشرف على عدّة مجلات في النقد والدراسات الأدبية والترجمة.

مِن بين كتبه التي بدأ بنشرها مطلع التسعينيات:

- كتب

1983 :بنية الخطاب الأدبي

1990 :بنية الخطاب النقدي

2001 :فضاء المُتخَّيل

2001 :الظاهرة الشعرية العربية: الحضور والغياب

2007 :نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال

2011 :سرديات النقد: في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر

- ترجمات

2006 :الترجمة في الجزائر، للفرنسي إرنست ميرسييه

2008: عن الترجمة، للفرنسي بول ريكور

3.مفاهيم أولية

1.3.ماهية النقد

تتحدد ماهية النقد بالوظيفة التي يسعي إليها، فهدف النقد عموما هو الكشف عن المكامن الخفية و الأفكار الباطنية والتي لا تظهر للعيان؛ أي أن أطروحة النقد هو الكشف عن

الأوهام والوعي الخفي الذي يتحكم في بنية أي خطاب، بشري سواء كان دينيا أو سياسيا أو أدبيا

ويرتكز النقد على أدوات الحفر وعلى أساسها يكشف عما هو خفي عن وعيينا أو أنظارنا .. ويبين مدى قيمته أو جديته أو ركاكته ..الخ

2.3.ماهية النقد الأدبي

تتحدد ماهية النقد الأدبي وظيفيا في تلك العلاقة التي ينتجها المبدع (النص) والناقد، فالمعادلة الأساسية هنا هي تكمن في ذلك الصراع (التأويلي أو التفسيري) والذي ينتج عن استراتيجية الفهم والإدراك الفني والجمالي لقيم النص وعموده اللغوي.

"و أ صبحت وظيفة الناقد الحديث أن يكشف ما يحاول الكاتب أو الأديب أن يخفيه عن أنظارنا أو التعرف على ما يحاول إخفاءه من غايات المؤلف المكنونة فيتعقبها في صمت، وبهذا يصبح الناقد لا مجرد متعقب للأخطاء، بل صاحب دور ايجابي متمم لدور المؤلف، فهو اقدر، على فهمه لنفسه " .. نص منقول..

4.فلسفة سرديات النقد: في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر.

يصرّح الناقد حسين خمري في كتابه سرديات النقد: في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر، أن طموحه هو الوصول إلى طرح وإثارة القضايا الفكرية والتشجيع على التأمل النظري حول الآلية النقدية «في زمن أصبح فيه الابتذال النقدي يكتسح الساحة معتمدا على شعارات ومفاهيم خالية من أي محتوى معرفي ورؤية حداثية تحكم منطقها الداخلي، رؤية عتيقة عاجزة عن النفاذ إلى جوهر النص بترديد مفاهيم عارية من كل وظيفة ومعزولة عن كل سياق ثقافي وعلمي».[1]

يسعى الناقد حسين خمري من مقولته هذه، إن النقد في الساحة الأدبية الجزائرية يوصف بالابتذال النقدي والسطحية خال من المعرفة الفكرية العميقة المؤسسة على أساسيات النقد كما هي في أصولها الغربية، ممّا ولّد شرخا بين النقد وموضوعه ألا وهو النص الأدبي الذي بات بعيدا في العمليات التحليلية له، لا تستوعبه في جوهره ومكوناته الأساسية. ومن

[1]حسين خمري: سرديات النقد، في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2011، ص08.

هذا المنطلق جاء كتاب سرديات النقد. الذي من أهدافه الكبرى والملخصة في مقدمة الكتاب وموضحة في فصوله الأولى.

يبدأ حسين خمري بتقديم مفهومه للفظة (النقد) الذي يقول: «عملية تعني بإنتاج نصوص ذات طبيعة أدبية وتتناول النصوص الإبداعية كموضوع للدرس، وتختلف عن عملية نقدية عن العمليات الأخرى وذلك من خلال المنهج المستخدم والأداة المستعملة لهذا الغرض»[1]. يجعل الناقد حسين خمري عملية النقد في علاقة وطيدة بالنص الأدبي ولا تنفصل عنه، فهو جوهر النقد. ثم يعرج الى تحديد أهداف النظريات النقدية المعاصرة التي أسست لربط النقد بالنص في ذاته ولذاته بعيدا عن أي مرجعية خارجية سياقية، لتبقى العملية النقدية لصيقة بالنص وتتناوله داخليا بفحص مكوناته وبناه، بغية الوصول إلى تحديد دلالاته ومعانيه. من هنا يرى حسين خمري أن النقد أو العمل النقدي هو أيضا عمل إبداعي حضاري لأنه ينتج معرفة مميزة ثقافيا، تحاول الارتقاء بالنص الأدبي إلى مستويات عالية من الجودة؛ لأنه عمل يوصف بالمغامرة من أجل تجاوز الماضي دون نكرانه ؛بمعنى أن المغامرة و الممارسة النقدية لا تولد من عدم « فالنقد ، ليس ترسانة من المفاهيم أو شبكة من العلاقات الميكانيكية ، بل هو أيضا فن و إبداع ، و لا تحصل له هذه المزية إلا إذا استطاع تجاوز النص الأدبي و خلق سياقاته الخاصة و عالمه المحدد بتحقيق نوع من الاستقلالية بالنسبة للنص موضوع النقد ».[2] أمّا اتجاه الناقد حسين خمري في تعامله مع النقد المعاصر فهو حلقة وصل للموروث النقدي العربي القديم، «هو تنقيب في تراثنا النقدي البلاغي القديم عن نقاط التلاقي والتقاطع بينه وبين النقد المعاصر (البنيوي منه) والنصوص النقدية العربية القديمة».[3] مبينا أن كل من النقدين يستعينان ويعتمدان على المنطق في التحليل؛ كون أن النقد العربي القديم منذ كتابات الجاحظ وثيق الصلة بالفكر الفلسفي اليوناني.

[1] حسين خمري: سرديات النقد، في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر ، ص 09.

[2] المرجع نفسه، ص 158.

[3] المرجع نفسه، ص 12.

يرفع حسين خمري في مشروعه النقدي جوانب التحدي الحضاري والثقافي بقراءة الإنتاج النقدي العربي القديم والمعاصر.

جاءت فصول كتاب سرديات النقد، آليات في تحليل الخطاب النقدي المعاصر كالتالي:

- ✓ قضايا النقد
- ✓ من هو الناقد
- ✓ ما هو النقد
- ✓ بين النص والنقد
- ✓ إنتاج معرفة النص
- ✓ مراحل النقد
- ✓ المواقف النقدية الثلاثة
- ✓ أطراف العملية النقدية
- ✓ النقد المعاصر
- ✓ تلقي النص الأدبي
- ✓ العمل الأدبي والتواصل (القراءة) موريس بلانشو
- ✓ ما النقد؟ رولان بارت

نلمس من عناوين ومفردات الكتاب أن الناقد حسين خمري يسير بسرديات النقد مسارا تنازليا وممنهجا انطلاقا من سرد المفاهيم العامة للنقد ومواضيعه ونشأته وعلاقته بالنص الأدبي كموضوع ثم كلغة، ويقول: «إن الناقد يقوم بكشف الطريقة التي قدّمت بها مضامين النص الأدبي وطرائق تشكيلها واللغة المستعملة في التعبير، وبذلك تبرز جدلية النص والنقد، وعلى الناقد أن يبحث في خلفيات وسياقات النص ذاته».[1] ثم يضيف «إن العلاقة بين النص الأدبي والنص النقدي هي علاقة تتمفصل في النص الأدبي ذاته، هذه العلاقة هي عصب الحياة في الثقافة، وتمثل هذه العلاقة مركز الثقل في العملية النقدية، إذ يتقاطع النص الأدبي مع النص النقدي في هذه النقطة بالذات، بعدها يفترقان ليقوم كل واحد

[1] حسين خمري: سرديات النقد، في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر ، ص 19.

منهما، بالوظيفة المنوطة به وفق أهدافه، ويستعمل لهذا الغرض كل واحد منهما وسائله الخاصة به».[1]

إيمان الناقد حسين خمري بضرورة ربط النقد الأدبي بالنص الأدبي و عدم الفصل بينهما أو الاعتماد على السياقات الخارجية لشرح و تحليل النص الأدبي هو إهدار لكينونته و حجب للحجب على حج تعبير علي حـــرب [2]. و بلغة جازمة يقرّ الناقد حسين خمري بأن موضوع النقد الأدبي ليس العالم الخارجي ؛بل عالم النص فيقول: «نجزم، أن موضوع النقد ليس العالم، بل هو نص لغوي ، و يتعامل مع النص الأدبي باعتباره مجموعة من الأنساق اللغوية ، و نظاما من الرموز اللغوية و مجموعة من الكلمات المنظومة بصيغة معينة و بكيفية معلومة»[3]، غير أن الفرق بين النقد و موضوعه يكمن في لغته، فالأول لغته محمولة، و الأدب لغته موضوعة إبداعية كما يقول رولان بارت :«أما موضوع النقد فيختلف تماما فهو ليس العالم و لكنه خطاب، خطاب الآخر ، النقد هو خطاب عن خطاب ، إنه لغة ثانية أو ميتالغة، التي تمارس على لغة أولية».[4]

قلنا سابقا، أن فلسفة الناقد حسين خمري النقدية تقوم على ربط علاقة تاريخية تواصلية بين النقد المعاصر و النقد القديم خاصة منه النقد العربي، ففي حديثه عن معنى المعنى «التي تناولها الناقد الإنجليزي ريتشارد، ويرى حسين خمري أن هذه القضية شكلت اهتمام الناقد العربي القديم عبد القاهر الجرجاني في مؤلفيه، دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة، منوها بمجهوداته في تأسيس نظرية نقدية بمنظور نقدي منطقي عقلي و فلسفي هي نظرية معنى المعنى مستشهدا بمقولة الجرجاني:« و إذا عرفت هذه الجملة، فها هنا عبارة مختصرة و هي أن تقول معنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهره الذي تصل إليه بغير وساطة، و بمعنى المعنى أن يعقل من اللفظ ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر».[5]

---

[1] حسين خمري: سرديات النقد، في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر ، ص 20.

علي حرب: نقد النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 1995، ص 18

[3] حسين خمري، سرديات النقد، ص 22

[4] المرجع نفسه ص 25

[5] المرجع نفسه ص 25.

أما حديثه عن ماهية النقد فيسترسل في الحديث عن المبدأ الذي انطلق منه، وهو يضع هذا الكتاب باعتبار النص الأدبي هو عملية لغوية بامتياز، ويعرّف النقد بأنه «عملية أدبية لغوية ونشاط فكري وإنساني يقوم به الناقد قصد تجلية معنى المعاني او تقويم اعوجاج أو إشارة إلى موطن من مواطن الجمال».[1] ويربط هذا المفهوم بما ورد في التراث النقدي العربي القديم كما هو عند أبي حيان التوحيدي الذي يفرق بين اللغة النقدية واللغة الإبداعية. مؤكدا أن أبا حيان يصف عملية النقد بالعملية الصعبة في قوله: «إن الكلام عن الكلام صعب».[2] لكون الناقد ملزم بالرجوع الدائم إلى النص الأدبي و قنواته، ثم يصف حسين خمري نقد أبي حيان التوحيدي ب «خطوة كفيلة برفع التحدي وخلق نقدي عربي حديث يساعد على التغلب على عقدة التخلف و الاستلاب و استيراد الأفكار الجاهزة و استغلالها بطريقة آلية بكل فعالية نقدية أو ثقافية».[3]

لا تتحقق العملية النقدية وفق حسين خمري إلا وفق مراحل ثلاث، اعتقد أنها مستمدة من نظرية البنيوية التكوينية (جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان) التي جمعت بين الجانب البنيوي والجانب الخارجي في نقدها للنص الأدبي، إلا أن هذا الخرج هو وليد (توليد) من النص في حد ذاته، فصاغت مراحل العملية النقدية كالآتي:

ما قبل النص ـــــــــ النص ـــــــــ ما بعد النص

على أن يكون المنطلق في القراءة النقدية هو النص الأدبي.

في الأخير نستنتج أن كتاب سرديات النقد آليات في تحليل الخطاب النقدي المعاصر لصاحبه حسين خمري هو ملخص لفلسفة الناقد البنيوية التي حرصت على معاينة ونقد النص الأدبي في ذاته ولذاته من خلال مكونه الأساس هو اللغة، وتشكلاتها البنيوية للوصول إلى تحديد معناه ودلالاته بمعزل عن سياقاته الخارجية.

[1] حسين خمري: سرديات النقد، في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر ، ص 37.

[2] المرجع نفسه، ص 42.

[3] المرجع نفسه ص 45.

5. النقد المعاصر والنقد الروائي العربي

عند الحديث عن كتاب: فضاء المتخيل-مقاربات في الرواية-للدكتور حسين خمري – رحمه الله-، لابد من القول إنه خلاصة لتجربته في مجال الدراسات النقدية في مجال سيميائية الرواية، وتجدر الإشارة إلى أن مباحثه ارتكزت على مجموعة قضايا التي تم طرحها منذ زمن، وسنتطرق في هذا الفصل إلى دراسة مضمون الكتاب.

يطرح كتاب فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية-للدكتور حسين خمري– رحمه الله- إشكالية رئيسة تتمثل فيما يلي:

إلى أي مدى تم مقاربة المنهج السيميائي في الرواية العربية؟

كيف تجسدت آليات المنهج السيميائي في رواية صوت الكهف لعبد الملك مرتاض؟ وكيف تم ذلك؟

كيف تجسدت آليات المنهج السيميائي في رواية الحوات والقصر للطاهر وطار؟ وكيف تم ذلك؟

يندرج كتاب فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية-ضمن الدراسات السيميائية، وذلك "لأن السيميائية تختلف عن البنيوية لا من حيث إهمالها للشكل وتجاوزها له، ولكن من حيث عنايتها بالمعنى وحرصها على أن كل نص أدبي ينطوي بطبيعته على إمكانات متعددة للتأويل، واستخلاص المتلقي لأنواع غير من الدلالات والمعاني. ولهذا فإن عددا من البنيويين، رأوا في السيميائية رديفا لنقدهم البنيوي، فرولان بارت -مثلا-يهتم كثيرا بما تقدمه السيسيولوجيا من ملاحظات حول ما يسميه لعبة الدلائل في النص"[1]، وقد برزت من خلال كتاب فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية-مختلف جهود حسين خمري – رحمه الله-النقدية في مجال السيميائية، وتأثره بمن سبقه من النقاد، خاصة أنه سمي بارت الجزائر، وذلك لتأثره الكبير برولان بارت وجهوده النقدية.

ناقش حسين خمري في كتابه فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية-، عددا من القضايا النقدية، وقد وجدناها مبثوثة في ثنايا الكتاب، وسنناقش في هذا الجزء من الدراسة

[1] إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط4، الأردن، عمان، 2011م، ص103

مختلف القضايا النقدية التي وردت في كتابه، والتي شكلت جزء من مشروعه النقدي السيميائي، ويمكن أن نجملها بما يلي:

يستعرض الباحث حسين خمري في كتابه فضاء المتخيل-مقاربات في الرواية، دراستين سيمائيتين لروايتين جزائريتين، يتعلق الأمر برواية (صوت الكهف) لـ: عبد الملك مرتاض، و(الحوات والقصر) لـ: الطاهر وطار، وقد عنون الباحث الدراسة الأولى بـ: سيميائية الخطاب الروائي، والثانية بـ: علامية النص الواقعي"[1]،

تبنى الدكتور حسين خمري– رحمه الله-السيميائية" السردية (نظرية غريماس) بالمزاوجة مع مناهج ونظريات نقدية أخرى، حيث استفاد من مقولات " بروب" و" رولان بارت" وبريمون و"جينيت" و" كورتيس"، ولعل ذلك نابع من إيمانه العميق بالتعددية المنهجية (المنهج التركيبي لا التكاملي)[2].

هذا الكتاب دراسة أدبية تناولت القضايا التالية:

- سلطة الحكي،
- علاقة المتخيل بالواقع،
- اقتصاديات النص السردي.
- ممارسات تطبيقية: التناص وبنية الرواية.
- سيمائية الخطاب الروائي.
- علامية النص الواقعي.

ويحتوي الكتاب على الملاحق التالية:

ملحق رقم1: أصل الروايات.

ملحق رقم2: منفعة الأخبار.

ملحق رقم3: السيرة الذاتية نفي للرواية.

[1] سحنين علي: السرديات السيميائية وتطبيقها في النقد الجزائري- قراءة في كتاب فضاء المتخيل لحسين خمري، مجلة النص، مج1، ع2، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، ص ص20

[2] المرجع نفسه، 33، 34

تطرق حسين خمري إلى سلطة الحكي و أنها لا تتجلى في مستوى واحد من مستويات النص السردي، ولا في أداة من أدواته؛ ولكننا نجدها ماثلة في مستويات متعددة من كل نص، وتظهر بوضوح، وجلاء خلال مستوى محدد لتعطيه نكهة خاصة وتشدد على هويته، ومغايرته للنصوص السابقة عليه[1].

رأى الناقد أن سلطة الحكي لا تتجلى بعمق إلا في النصوص التي توفر أكبر قدر ممكن من اللذة، لأن السلطة بمفهومها الأدبي هي قدرة القصة على إبقاء القارئ يتابعها وتشده إليها، وهي تختلف عن مفهوم السلطة البوليسي أو الإرهابي. إنها النص الذي يأسر النص الملتهب الذي يأبى على كل مشابهة والذي يتنافس بوظيفة الارتباط التجاري بما هو مكتوب. كما يقول رولان بارت إن النص الذي يأسر هو نص اللذة وهو الذي يحاول قدر الإمكان أن يتمايز عن النصوص السابقة عليه ليؤسس سلطته الخاصة.[2]

عالج الناقد في خضم حديثه عن سلطة الحكي أنها تعني سلطة اللغة على جميع الخطابات، ومن خلال البحث في ثنايا هذه السلطة، وعلاقتها بالنص وبالمبدع، توصل إلى عدة نتائج، حيث لا نجدها تتجلى في مستوى واحد فقط، بل نجدها ماثلة في مستويات متعددة من كل نص، وتظهر بوضوح وجلاء، خلال مستوى محدد لتعطيه نكهة خاصة، وتشدد على هويته ومغايرته للنصوص السابقة عليه[3].

في دراسته لقضية علاقة المتخيل بالواقع أشار الدكتور حسين خمري أنها تثير إشكالية كبيرة في مفهومها بحيث تعتبر العلاقة القائمة بينهما علاقة جدلية وإيديولوجية، بحكم أن المجتمع هو المرجع الرئيسي للخطاب الروائي من خلال تأثر الأدب بالمجتمع والتأثير فيه؛ لأن الأدب يهتم بالواقع ويتطور بتطوره.[4]

---

[1] حسين خمري: سلطة الحكي، تاريخ النشر: 2021/01/14، انظر الرابط:
https://alantologia.com/blogs/39525/?amp=1

[2] الموقع نفسه

[3] أحلام رقية: الخطاب السردي العربي المعاصر في ضوء النقد النسقي المغاربي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014/2013، ص22

[4] كتفي شهرزاد، زروخي هاجر: المتخيل السردي في رواية نهر بلا شطآن لإبراهيم خريط، مذكرة ماستر تخصص دراسات أدبية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2020/2019، ص33

أوضح الدكتور حسين خمري-رحمه الله-علاقة المتخيل بالواقع تتمثل في كون أن "الواقع معطى حضوري يمكن أن يدرك بالحس وتلمس آثاره بالملاحظة في حين أن المتخيل بناء ذهني، خفي لا يدرك إلا بإعمال الفكر والنظر"[1] فالمتخيل يدرك عن طريق استعمال الذهن، أما الواقع فهو حقيقي يدرك بالحس.

انتهى الدكتور حسين خمري-رحمه الله-إلى أن العلاقة " بين المتخيل والواقع لم تحسم بعد، إذ أن الإدراك الجمالي للواقع يثمر معرفة جمالية بهذا الواقع، ومن هنا تصير علاقة المتخيل بالواقع علاقة جمالية، وتصير وظيفة الفن والأدب هي الوصول إلى حالة التناغم والانسجام[2].

تبدأ علاقة المتخيل بالواقع من كون أن الواقع معطى حضوري يمكن أن يدرك بالحس وتلمس آثاره بالملاحظة، في حين أن المتخيل بناء ذهني خفي لا يدرك إلا بإعمال الفكر والنظر. فالمتخيل يدرك عن طريق استعمال الذهن، أمّا الواقع فهو حقيقي يدرك بالحس. والمتخيل يعيد تشكيل بنى الواقع؛ أي إعادة صياغته وتشكيله، وبهذا فإن المتخيل يأخذ من الواقع مادة قبل أن يأخذ منه صورة وشكلا. والمتخيل من جهة أخرى يمثل جانبا من جوانب الواقع وأحد مكوناته.

وقد ذكر الدكتور حسين خمري-رحمه الله-إلى أن العلاقة بين المتخيل بالواقع قد "أشارت إليها البنيوية التوليدية عند لوسيان غولدمان بمصطلحي الوعي القائم والوعي الممكن، وسبقه إلى ذلك هيغل بكثير حين قسّم التاريخ البشري إلى مراحل ثلاث هي:

- المرحلة اللاهوتية(الإغريقية) وهي مرتبطة بممارسة الطقوس الوثنية.
- المرحلة الرمزية (القرون الوسطى)؛ حيث سيطرت الكنيسة على الحياة
- المرحلة الواقعية(الصناعية): ساد فيها العقل والمنطق

من بين القضايا الأكثر جدلا في كتاب فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية-قضية اقتصاديات النص السردي إذ لم يوضح لنا المؤلف " غرضه من استخدام هذا المصطلح،

[1] حسين خمري: فضاء المتخيل- مقاربات في الرواية- وزارة الثقافة، دمشق، 2001م، ص40
[2] المرجع نفسه ، ص57

واكتفى بالقول بأن لوي يلمسلاف L.H yelmslev هو من وظف مصطلح الاقتصاديات وهو يهي عنده تنظيم عناصر مختلفة لمجموعة معينة، وهو أيضا تنظيم لنظرية، ومن شروط هذا التنظيم، التماسك والوضوح.

يرى حسين خمري-أن الخطاب الأول (السردي) في إطار جمالي غايته عرض حالة إنسانية، أو مجموعة أحداث لها دورها الخطير في تغيير مسار حياة الفرد أو حياة الجماعة...أما الخطاب الثاني(التاريخي)فإنه يتأسس داخل نسق معرفي غايته تقديم تفسير أو تعريف مؤسسة حضارية أو ثقافية معينة، بعد ذلك قام بتقديم بعض الفروقات الموجودة بين "الخطاب السردي والخطاب التاريخي، وعلاقة الشعر بالتاريخ، كما جاء بها كتاب أرسطو" فن الشعر" حين وجد الشعر أكثر فلسفة من التاريخ. ومن أصل الشعر ورؤية النقد القديم إليه، وصولا إلى اللغة كوسيلة للتواصل، من خلال الوظائف الست التي حددها رومان جاكبسون، وهي: التعبيرية، التأثيرية، الشعرية، المرجعية، الوجدانية، الميتا لغوية..

خصص حسين خمري-"فقط خمسة أسطر للحديث عن الأدب الجزائري، مركزا على القصة بصفة عامة، فهل يقصد بذلك القصة القصيرة أم الرواية، أم السرد على وجه العموم يقول: نلاحظ أن القصة لم تستفد كثيرا من تاريخنا على الرغم من انه يزخر بالبطولات والأحداث... ولكن التاريخ وما فيه من مادة قصصية غزيرة لم يكن حاضرا بصورة جلية في تراثنا القصصي

عرّج حسين خمري إلى الحديث عن التناص و ما أحدثه من حراك واسع، و أنّه شغل الحداثيين جميعا، وأثار بينهم جدالا نقديا، كان مؤداه اختلاف النقاد العرب على ثابتة إيجاد صيغة لفظية أو ترجمة موحدة أو ثيمة لغوية لمصطلحه ، وقد اقترح محمد بنيس مصطلحا جديدا له سمّاه" النص الغائب على اعتبار أن هناك نصوص غائبة ومتعددة وغامضة في أي نص جديد، وقد اعتمد أيضا على طروحات كريستيفا وبارت وتودوروف ، والتناص عنده يحدث من خلال قوانين ثلاثة هي: الاجترار والامتصاص والحوار ويضع بنيس

للنص المتناص مرجعيات عدة منها: الثقافية والدينية والأسطورية والتاريخية والكلام اليومي"[1].

أيّد حسين خمري رؤية جابر عصفور في أن مصطلح التناص يشير إلى الفاعلية المتبادلة بين النصوص؛ فيؤكد مفهوم عدم انغلاق النص على نفسه، وانفتاحه على غيره من النصوص، وذلك على أساس مبدأ مؤداه أن كل نص يتضمن وفرة من النصوص[2].

في إطار الحديث عن التناص وبنية الرواية أسهب الدكتور حسين خمري –رحمه الله-في ذلك واعتبر أن مصطلح التناص قد عرف كثيرا في البلاغة العربية القديمة التي رصدت حدوده وأشكال تجلياته في النص الأدبي، وذلك بدقة تفوق المصطلح الحديث، وقد عرّج إلى خلفية تطور المصطلح من حيث التسمية معتبرا أن النقاش الدائر حوله نقاش نقدي قديم وجديد في آن واحد مع اختلاف في الرؤية، والخلفيات المنطلق منها، والأشكال التناصية التي تمّ التركيز عليها.

إذا ما نحن تتبعنا مفهوم التناص ونشأته في النقد العربي، وجدناه مصطلحا جديدا لظاهرة أدبية ونقدية قديمة، وقد" أوضح الدكتور محمد بنيس ذلك وبين أن الشعرية العربية القديمة فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، وضرب مثالا بالمقدمة الطللية، والتي تعكس شكلا لسلطة وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينها.. "

ويؤكد محمد مفتاح " على أن النقد العربي قد حفل بمصطلح التناص منذ بداية السبعينات من القرن العشرين. ولكن تمت آنذاك بصورة فيها كثير من لخلط والتشويش، والتداخل بين مفهوم التناص وعدة مفاهيم أخرى، مثل الأدب المقارن، المثاقفة، ودراسة المصادر، والسرقات. إضافة إلى أن استعماله أحيانا كان لا يخضع لأي ضابط فكري أو منطقي"[3]. وقد حظي التناص بجميع أنواعه باهتمام النقاد والدارسين للكشف عن تفرد الأدباء والشعراء وتميزهم في كيفية توظيفه.

---

[1] حسين خمري: فضاء المتخيل- مقاربات في الرواية ، ص32

[2] المرجع نفسه، ص100

[3] حسن علي بشير بهار: التناص الديني عند أبي العتاهية، مرجع سابق، ص18

ترى جوليا كرستيفا أن التناص "هو نقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة وهو اقتطاع أو تحويل... وهو عينة تركيبية تجمع لتنظيم نصي معطى التعبير المتضمن فيها أو الذي يحيل إليه"[1]. ويتم التناص حسب رأي جوليا عبر آليات محددة وهي: "الاقتباس citation" والسرقةplagiat، والإيحاء[2]"allusion. ورغم هذا التحديد المعمق إلا أن ذلك يعتبر هذا الرأي لا يخلو "من عثرات الريادة أو البداية في تقديم المصطلحات ومحاولة تلمس أبعادها وملامحها؛ إذ لا يخلو رأي الباحثة من تعميمات تجنح إلى نوع من الضبابية والتناقض في تقديم مصطلح التناص؛ إذ تتطرق حينا وتبدو معتدلة حينا آخر، ولا نعتقد أن النص الأدبي هو مجرد امتصاص وتحويل لنصوص أخرى سابقة، كما ترى كريستيفا، وإنما هو أبعد من ذلك أو أكثر من ذلك"[3].

أدرج حسين خمري ما تراه جوليا كرستيفا في أن الوظيفة التناصية ترتبط بإيديولوجية النص وتمتد على كامل أجزائه فتعطيه بذلك دلالاته التاريخية والاجتماعية، وتسمح له بالتحرك داخل الثقافة وداخل المجتمع[4]، وهو بذلك يتعامل مع النص على أنه مظهر دلالي يتم من خلاله إنتاج المعنى عن طريق تفاعل نصوص سابقة متزامنة تتحاور وتتصارع وتتداخل ثم تنتظم بعد أن يتمثلها الكاتب في ذهنه، فتشخص أمامه نصا مكتمل الملامح [5].

6. خاتمة:

إن غياب الناقد حسين خمري كان فاجعة على الأسرة الجامعية والثقافية الجزائرية، بموته المفاجئة التي لم ينتظرها أحد؛ إذ فقدت الساحة النقدية الجزائرية والعربية قامة

[1] احمد الزعبي: التناص نظريا وتطبيقيا، مرجع سابق، ص11

[2] عصام حفظ الله حسين واصل: التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر (احمد العواضي أنموذجا)، مرجع سابق، ص 16.

[3] المرجع نفسه، ص12

[4] خمري: فضاء المتخيل- مقاربات في الرواية-، ص101

[5] إكرام بن سلامة: استراتيجية التناص في تحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم من خلال كتاب الذخيرة لابن سلام- دراسة في الآليات والمستويات-، أطروحة دكتوراه في الأدب الحديث، جامعة قسنطينة-1- ، الجزائر، 2014/2013، ص23

من قامات النقد الأدبي تاركا وراءه مجموعة من المؤلفات المتنوعة والتي تنمّ عن وعيه النقدي.

إن المنجز النقدي عند حسين خمري مبني على أطروحات فكرية مؤسسة، تنهل من الخلفيات النظرية والفلسفية للفكر النقدي الحديث والمعاصر التي تلقاها، وهو يكمل مشواره العلمي والبحثي في جامعة السوربون بفرنسا، وقد انطلق حسين خمري من مقولة نظرية تعتبر الأدب منظومة سيميائية، ومجموعة من العلامات والعلاقات المتفاعلة فيما بينها، رافضا التداخل الأدبي والإيديولوجي (المرجع الخارجي) الذي بحسبه أفضى إلى نوع من الضبابية بوصف الأدب صورة أو وثيقة خطابية تحمل وظيفة ما، يحدّدها مضمون النص، ممّا أنتج نسقا نقديا سماته الإنشائية والرومانسية التقليدية.

استطاع حسين خمري من خلال منجزه النقدي تغيير وجهة سرديات النقد في الجزائر، فجاءت ممارسته وتعاملاته النقدية التطبيقية منها تقف عند حدود النص بفحص مكوناته، وتفكيك عناصره للوصول إلى إنتاج معرفة علمية للنص الأدبي.

يرى حسين خمري أن النقد في الأساس يقوم على البحث في كينونة النص من حيث هو موجود؛ بحيث يحوّل قارئه من وجوده بالقوة؛ أي يمارس سلطته عليه إلى وجود بالفعل بانتقال السلطة إلى يد القارئ الناقد.

وبعد عرضنا لراهن النقد وفلسفته عند حسين خمري من خلال مؤلفاته موضوع الورقة البحثية: (سرديات النقد: آليات في تحليل الخطاب النقدي المعاصر + فضاء المتخيل-مقاربات في الرواية)، لاحظنا أن الناقد حسين خمري كان يربط حلقة وصل بين المنجز النقدي الغربي والمنجز النقدي العربي القديم.

اهتم الناقد بشتى الأجناس الأدبية وبالخطابات اللغوية وغير اللغوية، وصفوة القول، إن سرد راهن النقد وفلسفته عند حسين خمري ليس بالأمر الهين ولا السهل، كونه منجز ضخم ومتشعب وكتب بلغة علمية دقيقة تتطلب من قارئه التركيز والروية، من أجل تجلية أهداف الباحث أولا، ووصف أعماله بدون مغالطة علمية تعتمد التعصب لأفكاره أو نبذها، بحكم أن حسين خمري يطرح أفكاره بروح علمية موضوعية بعيدة كل البعد عن أي شكل من أشكال التعصب.